# النهضة الشرقية الحديثة

## اظهر مظاهرها وابقى آثارها

### ١ — رأي الدكتور بايرد ضدج

رئيس جامعة بيروت الاميركية

منذ بضع سنوات لقيت عالمًا عربيًا من علماء الهيئة ، اقتبس معارفهُ من كتّاب القرون الوسطى و بنى على كتاباتهم آراءهُ في حلقات زحل واقمار المشتري وعدد النجوم الثوابت والفوهات البركانية التي تبدو على وجه القمر ، وكانت هذه الآراء مبنية على مقام الكتّاب الذين فاهوا بها ومقام تلاميذهم الذين تناقلوها على مر العصور ، ولم يكن التلسكوب والبحث العلمي نصيب ما في تكوينها

وفي احد الايام زارنا في جامعة بيروت الاميركية فذهبت معهُ في المساء الى مرصد الجامعة ، وفيهِ تلسكوب قطر بلورتهِ ١٢ بوصة ، فشاهد بام عينيهِ بواسطة هذا التلسكوب ، اقمار المشتري ، وتجاميع النجوم التي كشفت حديثًا واثبتت وجود عوالم في الفضاء اللانهائي لم تكن معروفة قبلاً ، وشاهد ايضًا الفوهات البركانية التي على وجه القمر وغير ذلك من غرائب الافلاك

فانشأ يخبرني حينئذٍ كيف انقضت عليهِ سنوات والفلسفة رائدهُ في درس هذه الظواهر الطبيعية ووصف مقدار سروره لانهُ أتيحت لهُ فرصة ليرى حقيقتها بعينيهِ . ففي لحظة واحدة انتقل مركز السلطة الفكرية لديهِ من كتّاب القرون الوسطى الى ما كشفتهُ آلة عملية حديثة

وعرفت رجلاً آخر من لبنان تلقى العلوم اللاهوتية في حداثتهِ وجعل ما جاء في الكتب الدينية اساسًا لمعتقدهِ وايمانهِ . وكان راسخ الاعتقاد بيوم الدينونة ، و بوجود « سماء » و« جهنم » وكان لشدة ايمانهِ يتدفق حين الوعظ بآيات الكتاب حتى اصبح في بلدتهِ علمًا يدعو الناس الى الهداية والخلاص . ولكنهُ اختلط بكثيرين من رجال العصر وشبانهِ فاخذت تتطرق اليهِ شكوك وريب تعذب نفسهُ المطمئنة . اخذ يرتاب في محتويات الكتب الدينية كلما ازداد تعمقًا في درسها ، واخذ يبحث عن الحقيقة في مكان آخر . ولما فقد ثقتهُ في صحة الوحي تزعزع ايمانهُ وبردت همتهُ وضعفت قوتهُ عن دعوة الناس وردهم الى

التوبة والخلاص . وحاول ان يجد اساساً جديداً لايمانه فلم يفلح ولبث يتسكع في الظلام

***

فمندي ان اظهر مظهر في النهضة الشرقية الحديثة هو ان الناس اخذوا يفقدون ما لهم من الثقة في تقاليد آبائهم كقاعدة لمعتقداتهم الدينية والادبية ودليل لسلوكهم وانهم اخذوا يبحثون عن اساس آخر لهذه المعتقدات

لما اندلعت ألسنة اللهيب في ازمير قبيل استيلاء الاتراك عليها سنة ١٩٢٢ هرب كثيرون من سكانها الى الميناء . وقفوا هناك على الحد بين البر والبحر يشاهدون بيوتهم وكلّ ما فيها من عزيز لديهم تناله يد الفناء ، ورأوا النيران تلتهم كل شيء حتى لقد كانوا في خطر منها على الثياب التي يرتدونها، فدفعهم اليأس الى الماء يسبحون الى المراكب التي في المرفأ او خارجه لعلّهم يصلون الى مركب يغيثهم. ولكن المراكب والسفن كانت مزدحمة باللاجئين اليها ، فغالبوا الامواج حيناً حتى وهنت قواهم وابتلعتهم اللجج

هكذا يرى كثيرون من الناس ان التقاليد والمعتقدات القديمة التي قدسها اباؤهم وجروا عليها تنهار الى الحضيض انهياراً سريعاً يهددهم بهدم معتقدهم الشخصي. فيندفعون مدبرين عنها ، يبحثون عن اساس جديد لمعتقد جديد فيتلمس كثيرون منهم في الظلام ثم يهبطون الى هوة الشك او يغرقون في لجة « المادية »

وهذا المظهر من مظاهر النهضة في الشرق لا يقتصر على مذهب دون مذهب او على جنس دون آخر . ان الثوار في روسيا نقضوا الكنيسة والعائلة وغيرهما من اركان الحياة الدينية والاجتماعية. والبوذيين في الصين اخلوا معابدهم من التماثيل لكي ينشئوا فيها مدارس علمية حديثة. ومنذ بضعة اسابيع كنتُ في تركيا فشاهدتُ فيها بعيني ، القيود القديمة التي كانت تقيّد بها المرأة ، والاحترام لرؤساء الدين ، والايمان بالوحي الآلهي — شاهدت كل ذلك ينهار امام المذاهب العلمية الجديدة وحرية الحياة الاوربية

وفي البلدان السورية نعرف كثيرين من الرجال والنساء الذين لا يهتمون باحترام التقاليد والعادات والاعياد التي احبها اباؤهم وجروا عليها . كذلك نجد جهلاً مريباً باقوال الكتب الدينية واعراضاً عن الصلوات العامة . وفي الوقت نفسه نرى ازدياداً في تعاطي المسكرات وانتشار الآفات الاجتماعية ، وميلاً الى احلال المسرات والملاهي محل التقاليد القديمة المحترمة . وزاد في نشر ذلك وقوع الحرب وتجييش الجيوش وانتشارها في مختلف البلدان

في الحين الذي ترى فيه افراد الجيل الجديد يديرون عن معتقدات اباثهم القديمة تراهم ايضاً يقبلون على الفلسفة القديمة القائلة « لنأكل ونشرب لاننا غداً نموت »

مضى على مصر والعراق وفلسطين وتركيا نحو خمسين سنة ، اي منذ أُنشئ المقتطف، وهي تقطع شوطاً من اشواط العمران يقع بين عهدي الفدّانية ( الاقطاع ) والدمقراطية. اي انقلاب تمّ في هذه السنين ! ها سكك الحديد والاتومبيلات والطيارات والتلغراف والتلفون ، تطوي الابعاد الشاسعة حتى كادت تمحوها . وها مذهب الشيوع الجديد اخذ العلم يقيمهُ مقام القول القديم بالخلق . لقد اثبت باستور ان الامراض تنشأ عن احياء صغيرة هي المكروبات . واصبح الزمن يقاس بستي النور ، والتاريخ بالعصور الجيولوجية المتطاولة . وصُدِم الاعتقاد بامكان حدوث العجائب صدمة عنيفة ، وصار الكون آلةً تتألف من جواهر وايونات ، تربطها معاً نواميس طبيعية كشفها البحث والامتحان . في كل هذا يبحث الشبان والشابات عن معبود آبائهم وفي الغالب لا يجدونهُ . يقولون اذا كانت الارض كرة فاين جهنم ، واذا كان الفضاء غير محدود فاين السماء

وقد فازت النساء في كثير من البلدان المجاورة للبلدان الشرقية بحق الانتخاب، وعليهِ ترى اخواتهنّ في الشرق يطلبن التحرّر من القيود التي قيّدن بها ، القيود المبنية على تمييز بين الرجال والنساء . اضف الى ذلك ان الامم التي تجري على العادات الاوربية في معيشتها اخذت تنتشر في الارض ولها من جيوشها وسائل منظمة لنيل المطامع البشرية

ما اعظم التجارب التي يتعرض لها الشبان والشابات في الشرق. انهم محرومون لفقد مالهم من الثقة في عادات آبائهم وتقاليد اجدادهم والجري على العادات الغربية غير عارفين هل هذه العادات نتائج الارتقاء الحقيقي او هي سراب يلمع و يخفي وراءهُ المعايب

ما من جيل في التاريخ واجه طائفة من المشكلات كالمشكلات التي يواجهها ابناء الجيل الحاضر ، وما من جماعة من الفتيان والفتيات وجدت امامها ما يثنيها عن الايمان الصحيح كفتيان الشرق وفتياتهُ في هذا العصر . وسواء تمكن المتقدمون في السن من قبول الاراء الجديدة والجري عليها او لم يتمكنوا ، فانهم لا شكّ يستطيعون ان يسلطوا على الشبان الذين تمزقهم هذه الشكوك المؤلمة . وسواء اردنا اولم نرد ، لا نقدر ان نقف سداً في سبيل تيار ما يسمّى مدنية وما يحملهُ معهُ من آراء جديدة في العلم والاجتماع

وعليهِ ارى ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة هو هذا الميل الى هدم التقاليد القديمة كاساس للمعتقد والسلوك . وعملنا هو ان نساعد الشبّ الجديد ليجد اساساً

لمعتقدات تعصمهم من احتقار الدين وتقودهم الى الاحتفاظ باعلى مستوى ادبي حتى يعيشوا لتحقيق الغايات الروحية الرفيعة ( مترجمة )

٢ — الحركة الوطنية اظهر مظاهرها

للدكتور سعيد ابو جره صاحب جريدة « الافكار » البرازيلية

من يطالع مجلدات المقتطف منذ صدوره الى اليوم يجد فيها ادلة ظاهرة على نهضة عقلية ووطنية في «مصر وسوريا وفلسطين والعراق و بلاد العرب» ولكن النهضة الوطنية اظهرها واعمها ولئن كانت من جملة النتائج للنهضة العقلية التي سبقتها

و يمكن القول ان النهضة الوطنية التي ظهرت في الشرق في الخمسين سنة الاخيرة ( اي في عهد المقتطف ) تعود الى اسباب اربعة :

الاول — ظهور محمد علي باشا مؤسس العائلة المالكة بمصر وتشجيعهُ اللغة العربية والقومية العربية بمختلف الاساليب

والثاني — انشاء مطابع ومعاهد عقلية عديدة بين اجنبية ووطنية وخصوصاً في سوريا في العقد السادس والسابع والثامن من القرن الماضي احدثت حركة عقلية قوية وكان المقتطف من جملة عواملها

والثالث — قدوم الغربيين بكثرة الى الشرق حيث اوجدوا احتكاكاً لا بدَّ منهُ بينهم و بين اهل البلاد احتكاكاً اعدَّهُ من العوامل القوية في تنبيه الشعور القومي عندنا كما سيأتي بيانهُ

والرابع — المهاجرة السورية وما فعلهُ المهاجرون السوريون في سبيل الحركة العقلية والوطنية في مصر اولاً وفي اميركا الشمالية والجنوبية ثانياً

اما السبب الاول فقراء المقتطف لم يفتهم شيء من تفاصيلهِ . لذلك اوجز الكلام عنهُ هربًا مما قد يحسب تكراراً ، فمجلداته ملأى بالبحث والمقالات المحتمة عن الارساليات المصرية العقلية الى اوربا . وعن المدارس المتنوعة بين ابتدائية وعالية كالقصر العيني وامثالهِ . وعن المطابع المتقنة كمطبعة بولاق وغيرها التي اعادت الحياة الى مئات من الكتب العربية الثمينة بين قديمة وحديثة — الى غير ذلك من الاعمال المجيدة التي قامت بها العائلة العلوية في تنشيط العلم واللغة والقومية فنجمت عنها نهضة وطنية كانت وما برحت اقوى نهضة من نوعها في الشرق العربي

نعم ان نهوض هذا الشرق كلهِ ليس حق الساعة كما نريدهُ لهُ من تعميم ونشاط

ورسوخ . ولكن الحركة دليل الحياة والحياة كامنة ابداً في ذلك الشرق العزيز تبدو مظاهرها فيه عند اول فرصة تسنح . ولا عجب فوراء الشرق تمتد طريق يعود الى خمسة آلاف سنة والشرق مهد الحضارات المختصة به ومهد التمدن الممتد منهُ الى اوربا عن طريق اليونان والرومان. والشرقيون ذوو استعداد فطري للرقي لا يعوزهم الاَّ الوسائط

وهذا يقودني الى السبب الثاني اي وصول الوسائط العلمية الينا من كليات الاميركيين والاوربيين والوطنيين . ومن مطابع متقنة ومتعددة مشت جنباً الى جنب مع المعاهد العلمية فنشر كلاهما العلوم والمعارف في البلاد باللغة العربية وكان ذلك من الاسباب الاولية في الحركة الوطنية التي هي موضوع هذا المقال

بيد ان هذه الحركة أُصيبت بصدمة عنيفة في الحقبتين الاخيرتين من القرن الاخير من جرَّاء الضغط السياسي المعروف امرهُ فخدمنا الحظ بوجود ملجإ قريب هو وادي النيل الذي انعش المقتطف والشفاء . وأنبت الهلال والصليب . واوجد اقوى صحافة عربية في اقوى مصقع في الحركة الوطنية في الشرق مما يعيدني ثانية الى ذكر مصر وفضلها العظيم عليها

ليس ذلك فقط بل ان اللغة العربية ايضاً أُصيبت حينئذٍ بصدمة قوية وخصوصاً في سوريا حيث استبدلت بلغات اجنبية في الدروس العالية في المدارس العالية . ولولا وجود مصر وتعاون حكومتها وامتها وصحافتها على تقوية اللسان العربي بكل الوسائل لبقيت النهضة العربية الحديثة في المهد وانت تعلم ما للغة من الشأن في مثل هذه الاحوال

ولا حاجة بي الى ذكر الكتب العلمية والطبية واللغوية والتاريخية والادبية التي اصدرتها مطابع سوريا ومصر باللغة العربية في اوائل تلك النهضة المباركة . فقراء المقتطف يذكرون مؤلفات فان ديك وبوست وورتبات . ومؤلفات اليازجي والدبس والبستاني وارجح ان بعضهم لا يزال الى اليوم يتغنى بقصائد اليازجي والمرَّاش الحماسية . ويستظهر آيات بيِّنات من اقوال الافغاني ومحمد عبده وقاسم امين — وارجح ايضاً بل اؤكد ان القصيدة السينية مثلاً لليازجي الصغير وقصيدة الياس صالح في « الحرية » واشباههما مما انتجتهُ تلك الحركة الوطنية في ذلك الحين سوف تدوم ما دامت اللغة العربية تفعل فعلها الساحر في جميع الناطقين بالضاد

ولا بدع فالتاريخ حافل بمثل هذه الشواهد اي ان قصيدة بليغة واحدة ، أو خطاباً حماسياً واحداً ، او كتاباً واحداً في موضوع يثير العواطف ، طالما كان من العوامل الخطيرة في كثير من الانقلابات السياسية والاجتماعية . يحضرني الآن وانا اكتب هذه السطور

رواية « كوخ العم توما » التي سببت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة الاميركية

الاحتكاك بالاجانب

قد يظن للقارىء لاول وهلة ان المقصود هو نفع نهضتنا الوطنية عن طريق الاختلاط مع الغير نفعاً ايجابياً على شبه ما ذكرت بشأن الحركة العلمية وتأثيرها المباشر . اما ما اقصدهُ فهو ان ذلك الاحتكاك نفع النهضة ليس ايجابياً فقط بل سلبياً ايضاً . اي انهُ جعل فريقاً كبيراً من الخاصة في الشرق الذين دفعتهم الاحوال الى الاشتغال او الاشتراك مع الغربيين باعمال سياسية او اقتصادية او علمية او دينية ان يرى منهم عن كثب النعرة الجنسية . فكان ذلك عاملاً لا يُستهان بهِ في ايجاد الشعور الوطني في بعضهم وإنهاضهِ في البعض الآخر وتقويتهِ بحكم الطبع فيهما كليهما على مرّ السنين واستمرار الاحتكاك

ودفعاً للتأويل ومنعاً لحمل كلامي على غير محمله اعترف صراحةً بحسنات كثيرة لكثيرين من الاجانب الذين حلّوا بيننا . وخصوصاً لرجال العلم والفضل الذين انشأوا المعاهد العلمية والمشاريع الخيرية ولا غاية لهم سوى الخير العام

ولكن الاجانب بشر لا آلهة . اي انهم كغيرهم من البشر يخدمون مصلحتهم ومصالح مواطنيهم ايضاً . وحالما تحتكُّ مصلحتهم بمصلحة اهل البلاد النازلين فيها تتحرك فيهم فوراً النعرة الجنسية وفي بعض الاحيان يبالغون بها فتبلغ حد التعصب الجنسي . وكيف بك اذا كان الذي يزاحمك منهم على مصلحة حيوية متشبعاً بروح الاحتقار لذلك الوطن وابنائهِ او كان على جانب من الجهل والادعاء والعجرفة والكبرياء

كثرت المهاجرة اليابانية اخيراً الى برازيل وبين المهاجرين اليابانيين نفرٌ على جانب كبير من التعليم والتهذيب . ولما كان هذا النفر يتقن اللغة الانكليزية سلمت عليَّ محادثتهم بها مليًّا . فماذا رأيت منهم

رأيت ان اولئك المتعلمين عموماً وخريجي الكليات الاجنبية فيهم على الاخص هم اشدّ نعرةً جنسية واكثر حباً لوطنهم من غيرهم

رأيت ان احتكاكهم بالغربيين كان افعل من التعليم لتنبيه هذه النعرة فيهم

ورأيت ايضاً ان لا احد يلومهم على ذلك مطلقاً بل بالعكس وجدت ان الامم الغربية تتسابق الى التغني برقي اليابان وتمدن اليابانيين — والى خطب ودهم

وعقد مؤتمر من عهد قريب في احدى مدنهم غايتهُ انشاء جمعية امبراطورية اوشرقية وانت تعلم السبب الذي حملهم على ذلك وهو يؤيد القول الذي انا بصدد الكلام عنهُ

وعلى ذكر اليابان اقول ان المقتطف نشر مرتين نصيحة الفيلسوف سبنسر لليابانيين بالاحتراس من الغرب ومطامعه وبالاحتفاظ بمميزاتهم القومية. واذكر ايضاً اني قرأتُ لهذا الفيلسوف الخطير فصلاً باسلوبه الانكليزي يوصي به ابناء قومه بعدم اقتباس النظام العشري و بالبقاء على المقاييس والموازين والمكاييل الانكليزية لمجرد انها من المميزات القومية . مع ما تعلم من المميزات العملية للنظام العشري وسهولة استعماله

وسبنسر من اعظم النوابغ الذين ظهروا في العالم فكلامهُ ثمين ونصائحهُ مبنية على نظريات فلسفية قلما يجرد الزمان مثلها . ولكن ما لنا وللشرق البعيد فلنأتِ الى شرقنا القريب فماذا نرى فيهِ وفي رجالهِ المفكرين من هذا القبيل

نرى الرحالة الكواكبي العربي الحلبي لما احتك بالترك وعلم ما يضمرون للعنصر العربي كتب ما كتب في كتابهِ ( ام القرى ) وغيره مما صارت العامة تعرفهُ قبل الخاصة

نرى الامير شكيب ارسلان الكاتب الكبير لما زار الاستانة على عهد عبد الحميد وعلم بالخُبر لا بالخَبر فقط نظر الترك الى قومنا العرب لم يتمالك من تصعيد زفراتهِ فتأوه قائلاً بيتهُ المشهور :

وألفيتُ فيها امةً عربية يرى التركُ منها امة الزنج اكرما

ومن مدة قريبة قرأتُ للامير شكيب ذاته رسالة بها ينصح بطلب الجنسية العراقية او الحجازية اذا لزم الامر قائلاً « ان في تركيا الجديدة بحسب قانونها الجديد ليس لاحد من ابناء العرب المقيمين فيها وهم اربعمائة الف ، ان يقول انهُ عربي او ان يكتب بالعربي او ان يتكلم بالعربي الاَّ همساً » آه

فاذا كان هذا حالنا مع تركيا القديمة والجديدة وهي شرقية مثلنا رغماً من تبرنطها وتفرنجها — فكيف بنا مع امم الغرب والتعصب الجنسي فيها كلها على اشده ليس فقط تجاه الشرق والشرقيين بل بعضها تجاه بعض ايضاً

أرسل مرة اسقف سوري ارثوذكسي لمفاوضة زميل لهُ يوناني بشؤون طائفية ولما راى الاول تحيزاً اعمى من الثاني لمواطنيهِ استغرب السوري الامر فاجابهُ اليوناني قائلاً « لا تنسَ اني يوناني اولاً و بعد ذلك ارثوذكسي» . والمطران السوري الذي روى لي هذه الحادثة — وقد وقعت معهُ شخصياً — من الممتازين بفضائل عديدة من جملتها فضيلة التساهل . ولكنهُ اصبح بعد ذلك الحادث من الممتازين ايضاً بنعرتهم القومية العربية

وكما وقع للطرابلسي وابن ارسلان وقع كذلك لكثيرين غيرهما من رجال الشرق مع كثيرين من رجال الغرب لما احتكت المنافع والمصالح السياسية او الاقتصادية او العلمية او الدينية فكان ذلك باعثاً لتقوية الشعور الوطني وانتشاره . واسأل الله ان تنجح الاحوال لكل سوري من اي مذهب ديني كان ان يخلط مع الاجانب وتحتك مصلحته بمصلحتهم حتى يعلم ما عملهُ الدين اتاحت لهم مثل هاتيك الاحوال فيهون على سورية اذ ذاك حلُّ عقدتها الطائفية المعلومة وتصير عامتها قبل خاصتها تقول « انا سوري اولاً وبعد ذلك من المذهب الفلاني »

وارى ان هذا ليس ببعيد وها قد ظهرت بوادرهُ في الخمسين السنة الاخيرة كما المتُ آنفاً وزاد سطوعهُ في زمن الحرب العظمى ولا عجب فالمصاب تجمع . ولا تزال الى اليوم تسمع من افواه العارفين الخبيرين من كل الطوائف مثل هذا الكلام . لان الحاجة الى تبادل التعاون لدرء خطر عامّ ، ووفرة الاختلاط مع الاجانب بحكم الحال . والاحتكاك الذي لا مناص منهُ على المصالح الحيوية — كل ذلك مما ينشئُ بالطبع شعوراً وطنيًّا قويًّا . فكيف بك وانت امام السوري المشهور بالذكاء الفطري وبسرعة الاقتباس من الغير وشعار الغير هو « انا وطني اولاً وبعد ذلك من المذهب السياسي الفلاني او المذهب الديني الفلاني » . اوَ ليس هذا من جملة الاسباب الجوهرية التي جعلت في فلسطين بين الاكثرية والاقلية ؟ لا جرم ان نزاع الاقلية المزمن مع الاروام غرباء اللسان والمكان جعلها منذ عهد بعيد تعتقد اعتقاداً متيناً راسخاً بعصمة الآية « انا وطني اولاً وبعد ذلك من الدين الفلاني »

كان الشرقيون اولاً يستغربون مثل هذا القول نظراً لضعف الرابطة الوطنية ضعفاً سببهُ الاجانب لا الاديان فليس في الدين ما يمنعك من حب وطنك بل بالعكس تراهُ يعلّم ان حب الوطن من الايمان . ولكن ما العمل والدول الاوربية حتى من عهد الحروب الصليبية اولاً والاتراك ثانياً والمصالح السياسية ثالثاً قد اتخذت الاديان وسيلة لترويج اغراضها التعسية المعروفة فكان قسمٌ كبيرٌ من اهالي الشرق الادنى ضحايا هذه السياسة بما جرّتهُ عليهم من ويلات التفريق والتزييق . تلك السياسة التي وضع قواعدها يوليوس قيصر الامبراطورية الرومانية كما يعرف دارسو التاريخ الروماني . والتي ما برح كل اجنبي يسير بموجبها خارج بلاده

ولكن التجارب تعطي حكمةً لمجرّب . فالتجارب علّمت العقلاء السوريين من جميع

الطوائف امثولة الرابطة الوطنية ولقد شاءت هذه الامثولة لحسن الحظ من بدء الحرب الكونية ولا تزال حتى اليوم الدرس الاول الذي يقرأهُ الجميع في البلدان الشرقية كلها ومنشورات الصحافة العربية في مصر وسوريا وفلسطين والعراق دليل ناصع على ذلك

رأى الشرقي في اثناء الحرب الكونية الاخيرة ان الانجيلي الانكليزي والانجيلي الاميركي يبذلان مجهودات لعجز القلم عن تعدادها لاجل القضاء المبرم على الانجيلي الالماني. رأى ان الكاثوليكي الفرنساوي والكاثوليكي الطلياني يسميان جهدهما لمحو النصارى الكاثوليكية من الكيان القومي . رأى ان الارثوذكسي البلغاري يحارب الارثوذكسي الروسي — ورأى اخيراً ان التركي المسلم ينصب المشانق للعربي المسلم ويعاملهُ معاملة عدو لدود . ما كان الترك قط راسخين في عقيدتهم الدينية بل كانوا منذ بدء ظهورهم كمنصر معروف في اواخر الدولة العباسية ولا يزالون الى اليوم « اتراكاً قبل كل شيء »

والمؤرخون الغربيون انفسهم يشهدون على الغرب بانهُ لاسيما في القرون الوسطى اشدُّ تعصباً دينياً حتى بعضهُ ضدّ بعض وهو منذ زوال تلك القرون المظلمة لا يعرف الاَّ الرابطة القومية . هذه هي الحقيقة و« الحقيقة يجب ان تقال لا ان تُعرَف فقط»

والمجال لا يسمح لي بايراد الادلة التاريخية الراهنة على ان الشرق المسكين ضحية المطامع الاجنبية وهذه المطامع هي التي اوجدت النعرات الطائفية عندنا . واننا لو تركنا لانفسنا لربما بقي المسلم والمسيحي يصليان تحت سقف واحد في معبد واحد شطرهُ الاول كنيسة وشطرهُ الآخر جامع كما جرى في الشام — بالجامع الاموي اليوم — في اول الفتح العربي

البحث هنا دقيق ومسلكهُ وعر وخصوصاً بيننا نحن الشرقيين . ولكن كاتباً يبحث في النهضة الشرقية لا يمكن ان يحيد من الاصطدام بهِ . فالواجب يفرض الاحاطة بالموضوع الذي انا الآن في صددهِ من جميع اطرافهِ . وخير الاعمال بالاكمال . والاعمال بالنيات

فمن نكد الدنيا على الشرق الادنى انهُ في مركز جيوغرافي تتزاحم عليهِ امم الشرق والغرب نظراً لشأنهِ الكبير الاقتصادي والحربي مما جعلهُ ميداناً دائماً للحروب والمنازعات . وتلك المنازعات اشتدت لاجلهِ بين الشرق والغرب في الحروب الصليبية ( وعندي ان تلك الحروب هي العلة الكبرى في النعرات الطائفية عندنا ) وبعد ذلك في التاريخ الحديث منذ زمن الامبراطورة كاترينا الثانية التي اوجدت « المسألة الشرقية » . واخيراً في عهد عبد الحميد لما ظهر الغرب بمظهر المتحفز للوثوب على الشرق فدعا الاتراك

الى الجامعة الاسلامية . وفي كل هذه الحروب والمنازعات اشتمل كلا الفريقين الدعاية ( البروبغندة ) وهذه تستحل استخدام كل شيء والاديان من الجملة

ليس في الاديان الالهية الثلاثة ، والشرق مهبطها كلها سوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكل الغربيين حتى المتعصبين منهم لقومياتهم تعصباً جنسياً اعمى يدينون بهذه الاديان التي اخذوها عنا ولم يمنعهم تدينهم من ان يتخذوا جميعهم القاعدة السابقة الذكر شعاراً لهم وهي « انا وطني اولاً و بعد ذلك من المذهب السياسي الفلاني او المذهب الديني الفلاني »

وافاضل القوم من الغربيين انفسهم الذين يترفعون عن المصالح المادية و يحتقرون الاساليب السياسية يحثوننا على فضيلة الوطنية واقوال سبنسر وانا تول فرانس شاهد على ذلك . ولكن السياسة بمطامعها واساليبها ورجالها هي التي حوّلت فضيلة التدين الى تعصب ديني في الشرق . وفضيلة الوطنية الى تعصب جنسي في الغرب : رحم الله محمد عبده القائل « وما دخلت السياسة في شيء الاّ افسدته »

ادرك العقلاء والمفكرون فينا هذه الحقائق من نيف وخمسين سنة واليوم عرفها الشعب كلهُ لان « حمّى » النهضة الوطنية منتشرة حواليه من كل جانب . ورجال ذلك الشرق العزيز مشهورون بسرعة الفهم وقوة المدارك — و بالاقتداء ايضاً

زحفت «جراثيم الحمى الوطنية» على الشرق القريب من كل الجهات فدخلت جسمهُ بطرق متعددة كانتشار التعليم وسهولة المواصلات ووفرة الاختلاط مع الاجانب وضرورة احتكاك المصالح السياسية والاقتصادية بالغرب . فأُصيب الشرق « بالوباء » وظهرت الاعراض « بشدة» في السنين الاخيرة في مصر وسورية والعراق وفلسطين . والانذار حسن باذن الله

في مصر نرى ان النهضة الوطنية عمومية وقوية . وان شبها الناهض قدوة شريفة باتخاذهِ الشعار الشريف « انا وطني اولاً و بعد ذلك من المذهب الفلاني » ولا بد من صيرورة الهلال بدراً في العراق وسورية وفلسطين

واراني مسروراً في هذا المقام لان سياق الكلام قادني مرة اخرى الى الاعتراف بما لوادي النيل من عظيم الفضل على الشعور الوطني في الشرق الذي هو موضوع المقال . ونظراً لضيق المجال اقف الآن عند هذا الحد تاركاً البحث في علاقة المهاجرين السوريين بهذه النهضة ، وفي « النتائج العمرانية والاجتماعية التي تفضي اليها » والسلام

سان باولو برازيل سعيد ابو جره